أحلام

رواية للكاتبة

حنان محمد آدم

إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: أحلام

اسم المؤلف: حنان محمد آدم

إخراج فني: ملتقى ابن النيل الأدبي

تصميم غلاف: ملتقي ابن النيل الأدبي

تصحيح وتدقيق: عبير مجدي

رقم الايداع: ٢٣٩٣٥

ترقيم دولي: 978-977-6663-87-9

حقوق الطباعة محفوظة للدار وللمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزئته في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال المعروفة حاليا أو التى ترد مستقبلاً دون إذن خطي مسبق

المراسلات: دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل رقم 5275 شارع عماد مصطفى

ت: 27304004

إهداء

إهداء إلى روحي الغالية التي سهرت ليالي من اجلي ومن تعطي بلا ملل و كلل ، الي التي انارت حياتي بضحكتها و بسمتها إلي أمي كلتم أحمد داوؤد وجدتي وكل الاهل .

إلي اخواتي هنادي وهند والي اخي العزيز مزمل ، وإهداء خاص لمن وقف معي وشاركني السهر(هيثم)، والي كل من ساهم بفكرة او جملة او شعورا في هذا الكتاب والي كل من يقرأ حرفا ويبحر فيها.

كلمة الملتقى

في إطار دعم الملتقى المستمر للأقلام المبدعة

نقدم عملا روائياً للكاتبة / حنان محمد آدم

تروي فيه قصة " أحلام "

أحلام الفتاة الشجاعة

وأحلام قرية بأكملها

ندعوكم للقراءة والمتعة

ملتقى ابن النيل الأدبي

العلاج السِحري

فاطمة: سلام عليكم شيخنا

شيخ (القرية): وعليكم السلام ابنتي فاطمة.

الشيخ هو شخص يعول عليه أهل القرية في كل شيء، له مكانة كبيرة بينهم ، ويمثل الشأن الأكبر في كل،وتعتمد عليه القرية الجوانب ،وما يقوله الشيخ لهم هو مايحدث ويُسمع ولا قول بعده.

فاطمة: أبي الشيخ أنا آتية إليك وكلي ألم ؛ أنا لم أعد قادرة على الصبر بعد الآن ، فالعمر ليس باقياً وإني أرى نفسي قد كبرت ولا سند لي في كِبَري أنا وزوجي،فهل لديك علاجٌ لدائي يا شيخي ، فقد ظهر شيبُ شعري،وجفت عيناي دمعاً.

الشيخ:يا ابنتي كوني صبورة و قوية كما كنتِ دائما ، والله إذا أحب عبدا ابتلاه ؛ وسوف أعطيك مشروبا نادرا جداً قد وأصيت عليه من مدينة أخري، مخصوص لكِ يا فاطمة ،فاحرصي على شربه قبيل النوم وادعى الله كثيرا ،وسوف يكون مرادك قريبا.

فاطمة: بارك الله فيك يا شيخنا ،وأتمنى أن يهديني الله نبتة تسقيها أنت علما ومعرفة، نبتة تثمر من حقلك حكمة ومعرفة ،خذ أتعابك يا شيخنا لقد أفرحتني بهذا الدواء.

الشيخ:لا يافاطمة أنتِ ابنتي ،كيف للأب أن يأخذ من ابنته وهو في موقف العطاء، عليك بهذا الدواء، وافعلي كما قلت لك به،و بمشيئة الله لك نصيب.

غادرت فاطمة منزل الشيخ وهي فرِحة بما قاله الشيخ لها عن ذلك الدواء وسرعة استجابته ، غرقت فاطمة في حلم يقظة أثناء سيرها في الطريق ؛إذ كانت ترى نفسها وطفلها بين يديها ،ولكن تلك اللحظة لم تدم طويلا ، فإذا بصرخات عالية قطعت أحلام تلك البريئة ، منادية للنجدة ، وما كان لها إلا أن تهرول مسرعة هي وغيرها من أهل القرية لتقديم المساعدة ،و إذا بهم أمام فوج من الجنود المُلثمِين ، ممسكين ببعض من فتيات القرية ،ويعبثون بهم أمام العلن ولا أحد يجرؤ على رفع صوته أمامهم ، لأنك إن فعلت ذلك ستلقي حتفك فقط ، وتعالت أصوات الفتيات طالبات المساعدة من الأهالي بأن لا يسمحوا لهؤلاء الجنود بأخذهن ،و لكن هيهات!!

لمن كان الصراخ؟ ، لأُناس كسرت شوكتهم!؟ ، فقدوا الكثير و الكثير ،بُعِدواْ وهُمِشوا عن المجتمع،

أناس ظل الخوف يطرق على أبوابهم كل ليلة ،و قد كان همهم الوحيد هو العيش بسلام وأمان.

وفجأة و عندما كان أهل القرية واقفين وناظرين لما يحدث لفتياتهم، يجردوا من لبسهم ويُضربن من قبل الجنود ، توارد صوت من بين الحشود عاليا، مرددا توقفوا وإذا بها فاطمة .

فاطمة: أأنتم بشر ،ونحن لا ، لماذا تفعلون هذا؟

الجنود: ومن أنت ؟ نحن هنا السلطة والقانون ونفعل بكم ما نشاء ،نحذرك بالصمت والانصياع وإلا سترين ما لا يطاق

، وإن لم تصمتي فلن يكون لعمرك بقية بعد الآن .

فاطمة: لن أصمت يا هذا ،فقد صمتنا كثيرا ولكن ليس بعد الآن ،اتركونا نعيش بأمان وسلام ، نحن بشر مثلنا مثلكم لنا حق السؤال والجواب .

و بينما فاطمة تتحدث مع الجنود وهي تناشدهم بأن لهم حق العيش بأمان ، إذا بهم يحملون أسلحتهم وقاموا بضربها ومن كان واقفا حتى أغمى عليها من شدة الضرب وتركوهم غارقين في دمائهم ،و عند وصول أهالي القرية قد وجدوا أن الجنود قد أخذوا الفتيات وضربوا من تبقى منهم وتركوهم في حال يرثى لها ،وكلٌ أخذ قريبه ليداويه.

وفي مساء اليوم التالي اتفق زوج فاطمة مع أهل القرية على الذهاب إلى منزل الشيخ ، ليجتمعوا ويتبادلوا الحديث عما حدث وكيف لهم أن يحموا أنفسهم وقريتهم من هؤلاء الجنود،كما قلت سابقا بأن الشيخ له مكانة كبيرة في القرية، وفي ظروفٍ كهذه ، يكون هو والياً لها ويستلم زمام الأمور عنهم. فقرر الشيخ بأخذ الحيطة والحذر وعدم التجول في أعداد قليلة والمكوث في المنازل ليلا حتى يأتي الصباح.

الأمل المَرْجُوّ

إن لرياح اليأس قوة لا يمكن وصفها ،و لجبال الأمل صلابة لا مثيل لها.النفس تطمع والأسباب عاجزة،والنفس تهلك بين اليأس والطمع.

حزن دام لأيامٍ ،وصارت القرية ظلاما لا مصباحٌ يضاء ولا ديك يصيح في الصباح ، كان الكل حزينا لما حدث أمام أعينهم ولم يكن هناك معين ، إلا امرأة تحدثت فضربت وكسرت يداها،وفقدت ما كان أملٌ لها ومات حلمها ؛ حلم الأمومة مفرحٌ بقدر ماهو مؤلمٌ، فقدت فاطمة الدواء الذي أوصاها به الشيخ وبندرته،وإذا بها ترى نفْسُها بلا بصيص أمل ،تحطمت دواخلها وصارت تبكي بضراوة لما يحدث لهم في القرية بين الحين والآخر ولما فقدته من دواءٍ لدائها.

فقال لها زوجها عبدالله: كفاكِ بكاء يا فاطمة ،لقد تورمت عيناك ، وإني لا أقدر على رؤيتك في هذه الحالة.

فاطمة : يا عبدالله ..

وكيف لي أن أهدأ، وإني قد ضيعت ما هو أثمن لي ولك .وقد أوصاني الشيخ بشربه ، لن يكون لي حظ بعد الآن.

عبدالله: الحظ والعافية من عند الله ، و قريبا سيجبر الله بخاطرك.

قطع صوت آخر حديث فاطمة وعبدالله وقد كان ذلك هو صوت الشيخ ورد قائلا لهم: السلام عليكم أبنائي.

فخرج عبدالله مرحبا بالشيخ : وعليكم السلام تفضل بالجلوس يا شيخنا.

الشيخ: يا عبدالله إني أعلم قدر نفسك عن باقي القرية ،واتيتُ إليك طالبا المساعدة في إيجاد حل لهذه المشاكل التي تحدث لنا لأبنائنا.

عبدالله : لا شيخنا إني مثلي مثلهم ولا فرق بيننا ، انت تكبُرُنا عمرا وعلما فلك حق القرار عنا جميعا.

الشيخ : أشكرك يا بني عما قلته ،وإني ذاهب للمدينة لملاقاة من له شأن بالسلطة والنقاش حول ما حدث هنا ، وإلى ذلك الحين عليك بأمور القرية حتى عودتي.

عبدالله : طريق السلامة يا شيخنا ،واطمئن فالقرية وطني وإنها بعيني حتى مماتي .

وبعد هذا الحديث القصير ،انطلق الشيخ إلى المدينة لملاقاة بعض من لهم شأن في الدولة والحديث عما حدث وما سيحدث إن لم يجدوا حلا ،و من جهة أخرى كان عبدالله يرعى يوما ويجلس يوما آخر متابعا أخبار القرية و ما يدور حولها من مكائد الجنود وبعض قطاع الطرق الذين يجولون في القرية ويأخذون ما يريدون منها ، من أغنام وأبقار ومحاصيل زراعية.

وإن لم يجدوا شيئا ليأخذوه يقومون عنوة بإضرم النار في مواشي القرية .

ما يحدث لهؤلاء القوم يحدث لغيرهم من القرى المجاورة ، وحتى أسوأ من هذا ولكن ليس هناك من يشفع ويسمع لهم ،وكيف يُسمع لهم وهم في قائمة الإقصاء والتهميش الاجتماعي .

ذهب الشيخ وصديقه إلي المدينة لأيام عدة وانقطعت أخبارهما بعد وصولهما لها ،

تساءل أهل القرية عما حدث للشيخ وصديقه ،وكيف لا يسمعون عنهما شيئا ، اضطربت القرية قلقا عليهما وكانوا يأملون وصوله بأخبار فرحة وحلول مرضية لهم ، ولكن لم يكونوا على علم بقساوة المدينة وساستها من أصحاب النفوذ، لهم أمل بسيط و وحيد وهو العيش بأمان وسلام ،أُناس البساطة تحكمهم في كل شيء.

ابن الشيخ : يا عم عبدالله ذهب ابي لأيام كثيرة ولم يعد حتى الآن ، إني والله ما استرحتُ لذهابه عنا ، هل تأذن لي بالذهاب إلى المدينة لرؤيته والاطمئنانُ عليه .

عبدالله : يا أحمد إن أباك قد أوصاني بك ،وإني والله قلق عليه بقدر ما أنت قلقُ عليه وإن ذهبت أنت ولم تعد ؛ سألحقك أنا ، وإن لم أعد أنا سيلحقني آخر وستكون القرية بلا والٍ لها ، دعنا نصبر ليوم أو يومين بعد وإن لم يعد سأذهب أنا.

وفي صباح اليوم التالي وبينما الناس في المراعي،وكلٌ يهتم بزرعه و ماشيته ،وبعض منهم يحمل الأخشاب على رأسه ومنهم من كان راكبا على بغله ، و أطفالهم يلعبون بينهم، كان منظر عن طبيعة خلابة تُبسط الناظرُ والحاضر،

ولكن هبت أخبار كما لو كانت صاعقة أحرقت قلوب الحاضرين بكاء، صوت حزين يشق طريقه إليهم

وهو صوت صديق الشيخ : لقد مات شيخنا ومات أمل قريتنا،وصار يشهقُ بالبكاء عاليا ويردد قائلا: لقد قتله أصحاب السلطة ، قتلوا الشيخ بوحشية لأنه رفض أن يسلمهم القرية وما فيها ، لقد أرادوا ان يشتروا ضميره ولكنه رفض ، فما كان لهم إلا أن يقتلوه.

أحمد(ابن الشيخ): تمهل !! من قُتل ؟ من قُتل؟

صديق الشيخ: أباك !! أباك يا أحمد فصبرا بالله بالإيمان تحلى.

أحمد: ماذا؟ فصار يبكي ويصرخ وكيف ذلك؟

صديق الشيخ: قتلوه في المدينة يا ولدي، فقد رأوا فيه من حكمة ومعرفة بما يدور في مخيلتهم من فساد ، فأمسكوا به وأخذوه حبيسا وإني كنت معه حبيسا أيضا ، ولكن أباك أنكر معرفته بي حفظا لسلامتي وأخذ نصيبي من العذاب وفداني بروحه ،وما أن سنحت لي فرصة فقمت بالفرار منهم وأتيت لأخبركم بما حدث .

هذا حال من أحوال أهل القرى ، يومٌ فرح وآخر تَرَح ،بعد أن كانوا على أمل العيش بسلام صاروا في ظلمة خوف من بعد رحيل من كان كالأب والمعين و المساعد لهم ، صاروا فاقدين روح الأمل.

و بينما الناس جلوس وهم في منزل الشيخ ثناءا على روحه الحميدة ،

قام ابنه أحمد خاطباً فيهم ، بعدم الحزن كثيرا ؛ بل عليهم أخذ روحه حماسا وقوة وأن لا يصمتوا للظلم بطرق الباب مطلقا بعد الآن وأخبر الجميع أن عبدالله سيكون هو شيخ القرية بعد أبيه .

ومنذ ذلك الحين أصبح أحمد يكره الساسة و السياسة أشد مما كان عليه سابقا، بل أصبح يُدرب نفسه ومجموعة أخرى من شباب قريته وقرى أخرى على معارضة حكومة بلاده التي قست عليه وعلى أهله، فشرع يبحث عن حركات (مقاومات) تساعد أهل قريته وبقية القرى .

عادت أحوال القرية إلى ما كانت عليه سابقا ، و كلٌ يمارس ما اعتاد عليه من عادة ، وأصبح عبدالله شيخا للقرية وفاطمة تساعده في كل الأعمال ، وحتى أنها بدأت تهتم بنساء القرية وتقوم بتوعيتهم ، وكانوا كلهم كعائلة واحدة .

فرحة القرية

لنساء القرية طابع جميل يجسدهم ؛ يجتمعون مرة كل أسبوع بمنزل امرأة منهن ، وكان هذا الجمع اللطيف بمنزل فاطمة ،يتبادلن الحديث حول الكثير والكثير من مواضيع تخصهم ومواقف تجمعهن ،وكانت فاطمة سيدة خلوقة ورزينة ،تحب الجميع وتفرح لفرحهن وتحزن لحزنهن ، فصنعت مكانة لنفسها بهذه الميزات فأحبها الجميع الصغير منهم والكبير . وبينما النساء جلوسٌ ، أتت فاطمة وفي يدها قهوة وبدأت بتقديمها للجميع ، وعندما التفتت لتجلس بجانبهن أغمى عليها فجأة ، و إذا بهن يصرُخْن بصوت واحدٍ ، فاااااطمة ، فسمع عبدالله صراخ النساء وهرع إلى داره ووجد زوجته على الأرض وهن حولها يحاولن إيقاظها.

عبدالله : فاطمة ! فاطمة! م...م...ما الذي أصابها.

النساء : لا نعلم والله فقد كانت بخير وأحضرت لنا القهوة وبعدها مباشرة وقعت على الأرض.

حمل عبدالله فاطمة بين يديه وأسرع بها إلى طبيبة القرية ، وإذا هي امرأة كبيرة في السن تداوي النساء بالأعشاب .

عبدالله : يا طبيبة عليك بزوجتي لا نعلم ما بها وقد أغمي عليها فجأة وبينما النساء جُلوس معها.

طبيبة القرية: هون عليك يا عبدالله ، ستكون بخير دعني أرى ما بها . فلتضعها هنا في هذا الفراش.

عبدالله : حسنا سأنتظر بالخارج فطمئني قلبي بالله عليك.

وبينما هو بالخارج وكل نساء القرية في انتظار الطبيبة بالخروج ، وقد كسى القلق وجوههم مما أصاب فاطمة فجأة . أتتهم الطبيبة مسرعة ورددت قائلةً:

الطبيبة: مباركٌ عليك يا عبدالله ، إن فاطمة حامل وهي بالشهر الرابع .

عبدالله: فاطمة حامل ! فاطمة حامل ! أسمعتم هذا إنها حامل وإني سأكون أبا قريبا ،فركع ساجدا حامدا لله ،فرحا بنعمة الله . فدخل على فاطمة و وجدها تبكي من شدة فرحها و شوقها فأمسك يدها و شرع في البكاء هو الآخر وقال لها :

عبدالله : ألم أقل لك يا فاطمة إن الله سيجبر خاطرك فأخذ يُقْبِل جبينها ويشكر الله .

فاطمة : أنا لا أصدق هذا يا عبدالله فإني قد فقدت الأمل في هذا ولكن الله قد أعاد الأمل إلى حياتي مجددا .

أسند عبدالله زوجته وخرج بها للخارج للذهاب إلى منزلهما ، ولكنهما ذُهِلا بأهل القرية نساء ورجالاً وأطفالاً يغنون فرحا و رقصاً . فهم عائلة واحدة ، فرحُ فرد واحد هو فرح للعائلة بأكملها.

عاد الفرح للقرية كلها منذ رحيل الشيخ فلم يكن هناك لا فرح ولا ابتسامة على وجوههم إلا هذا الخبر فقد أنساهم كل الجراح السابقة،

أتاهم كالنسيم ، داوى جروح الماضي بلحظة فقد قلت لكم بأن روحهم بريئة ، أبسط الأشياء تفرحهم وتسعدهم ففي لحظة شفيت جروحهم ولكن بلحظة يمكن جرحهم ، لأنهم بسطاء.

فرحتهم بالجنين كفرحتهم بالربيع ،فاطمة بدأت تخيط ثيابا للمولود القادم و كلها فرح وتقول في نفسها وهي تلامس بطنها التي كبرت وهي قائلة:

إن كنت بنتا أم ولدا، ما أريده هو أن تصبح ذا علم ومعرفة كما كان شيخنا رحمة الله عليه ، وأن تكون محبا للناس سباقا للخير ، وعليك بطاعة والديك والانصياع لما يقولان دوما، واحترام الكبير والصغير وصارت تتبسم وتتخيل طفلها أمامها .

ما يحدث لفاطمة يحدث لعبدالله تماما ، ورغم أنه جالس في دار هو وأصحابه من القرية ، إلا أنه قد أبحر حالما بطفله وصار يقول وبصوت مسموع :

طفلي سيرث كل صفات عائلته وسوف يكون مختلفا في رأيه وقراره وسوف يصنع تاريخا خاصا به ، عليك يا طفلي بطاعة الوالدين واحترام كل شخص كبير أو صغير ، و قال الكثير لطفله ، فاستيقظ على صوت صاحبه وهو يقول له :

حسنا يا أبي ؛ فصاروا يضحكون وأكملوا جلستهم وكلٌ ذهب إلى بيته .

ومرت الشهور بأسابيع، الأسابيع بأيام ، والأيام بساعات، والساعات بدقائق ، والدقائق بثواني ، و بالثواني رنت أجراس اليوم المنتظر لفاطمة وعبدالله في صباح يوم خريفي ، كان المطر شديد الغزارة كثير البرق والصاعقة ، أتى المخاض لفاطمة فصارت تصرخ من شدة الألم ، ولم يكن هناك طريقة لجلب طبيبة القرية أو أخذها إليها ، فما كان لعبدالله إلا أن يساعد زوجته، والأرض مبتلة ، ليس هناك طريقة لتسخين الماء أو لتحضير أي شيء ، فأخبرته فاطمة أن هناك طريقة أسرع وهي بربطها بالحبل وشدها وكانت هذه واحدة من الطرق التقليدية لديهم ، و لقلة خبرة عبدالله في هذه الأمور فقد كان خائفا عليها وصار يتصبب عرقا من الخوف سائلا نفسه كيف لهذه الطريقة أن تنجح ؟ وهنا فاطمة تتألم وهو خائفٌ وحائرٌ ، فما كان عنده حل آخر إلا أن يتبع كلام فاطمة ، وقام بربطها وشدها قليلا، وعندما تشتد فاطمة بصراخها يرخي الحبل تارة واستمرت هذه الحالة لما يقارب الساعتين وفجأة ظهر المولود بسلام وخرج من رحم أمه وتمت الولادة بعد ألم واجتهاد ، فحملوا الجنين على أيديهما و إذا بها فتاة. كانت عيونهما تتراقص فرحا بها ، ونسوا ما حدث من صراخ وألم ، وإذا بالمطر خف قليلا ، فأسرع عبدالله إلى طبيبة القرية و أحضرها للمنزل ليطمئن على زوجته وطفلته.

أتى النهار وسمع أهل القرية بعد غزارة الامطار بأن فاطمة أنجبت مولودها ، فأقبل عليها الجميع مهنئين فاطمة وعبدالله ، فأتوا بالخراف وأعلنوا فرحتهم في جو يعمه الفرح والسرور و لامرأة ظلت تسأل الله هذه النعمة كثيرا .

فدخل عبدالله إلى فاطمة وجلس بقربها والنساء حولها ، وقال عبدالله : ومن يسمي هذه الطفلة؟

ردت فاطمة : أنت أبوها وأنا أعطيك الحق في تسميتها.

فقال عبدالله : باركك الله يا فاطمة ، أصيلة من يومك ، وسوف أسميها تيمناً لحُلمك بطفل يضفي البهجة في حياتنا ، أسميها ...أحلام .

فاطمة : شرعت بالبكاء والابتسام وقالت أعجبني الاسم كثيرا يا عبدالله فحقاً قد كان حلما أن أكون أماً و أنت أب .

فخرجت النساء وزغردن بأصواتهن العذبة وعلم الجميع أن الطفلة قد سميت باسم أحلام ،وفرحت القرية كثيرا بقدوم الطفلة .

تمر الأيام سريعا وتليها شهورٌ وسنوات بالقرية وأهلها، و توالت الأحداث في التساقط ،وكلٌ يكْبُر مع مرور السنوات ، وتلك الزهرة الخريفية قد كبُرت وأصبحت كثمرة ناضجة ، جميلة منذ صغرها ، فاتنة الطلعة.

المسيد (دار القراءة)

أحمد (ابن الشيخ) : اسمعوا يا أولاد القرية ،

أنتم التغيير والحرية المنتظرة للقرية وباقي القرى المجاورة ، للخروج من هذا الظلم السائد ، علينا بالصمود والوقوف جنبا إلى جنب ، و أن لا نستسلم للظلم أبدا ، و إني معكم في هذا داعماً ثورتنا ضد الظلم .

وفي ظهور مفاجيء ، يعمه الصمت ، ظهرت أحلام للعلن و وقفت في وسط الجمهور ، وردت قائلة : مساء الخير إخوتي ، صوت كصوت البلبل ؛ جف ريق الناظرين إليها ، وهي تردد لهم نعم إن احمد يقول الحق ، إلى متى ونحن صامتون ؟ علينا بالدفاع .....

الجمهور : يا لجمالها ، إنها فاتنة و أنظر إلى ثقتها بنفسها ، محظوظ من يمتلك مثلها ، وآخر يقاطع قائلا : اصمتوا واسمعوا لها ، إنها أختا لنا فاحفظوا ألسنتكم ،

وآخر يقول : وكيف ذلك و أنا أرى ملاكا أمامي . و ابن الشيخ قد نسي ما أراد قوله ،وصار يحلق بين السحبِ وأحلامٌ تراوده بين الغيوم وفجأة.

أحلام : ما بكم لما أنتم صامتون هكذا؟ هل أخطأت بالحديث ؟ وهي ضاحكة تنظر إليهم.

لا لم تخطئي يا أحلام ، ولكن لكِ جمال خلابٌ، يُصْمت الناظر ويدهشه ، فيصير ابكماً .

و بسردٍ ساحرٍ، أنتِ فتاة جميلة لكِ طلة سماوية المعاني ؛يدُلكِ كل موقع نظرة من ملامحُكِ على معنى لا يشاركه غيره .

لم يكن لها شبيه ، ممشوقة ومعتدلة القوام، لها عينان لوزيتان بهما كل الألوان التي ما أن نظرت إليك وأنت غاضب.....لم تعد غاضبا، و صوتها عذب شجي كتغريد البلابل أو زقزقة العصافير وقت فرحها . لديها أنف دقيق صغير كأنها من الأميرات ، شعرها مثل أسلاك الذهب ينسدل فوق كتفيها ، خفيفة رشيقة كأنها فراشة تمرح في حديقة ، وإن ضحكت!! ؛فضحكتها نسمة من نسمات الصيف ، رائعة في كل شيء فهي لا تحب التكلف في المظهر، تتأنق بالبساطة واللباقة .

أحمد : بعد الاستيقاظ من الحلم ، ماذا قلتِ يا أحلام ومن أين لكِ هذا ؟ ما زلتِ صغيرة على هذا الكلام .

أحلام: تراني صغيرة يا أحمد ولكن لي عقلا يميز ما بين الصواب والخطأ.

الجمهور : وما زال في عجب لما يدور من حديث بينهما ، فتارة ينظرون لها وأخرى له ، وهم ما زالوا في دهشة من أمرهم .

عبدالله : ماذا تفعلين هنا يا ابنتي ؟ دعيهم يناقشون قضياهم .

أحلام : ألهم قضية ؟ ولنا قضية ؟ أبي كلنا واحد وقضيتنا واحدة وإننا جميعا في هذا مشتركون .

عبدالله : وهو يضحك من ابنته ، اذهبي الآن فأمُكِ تبحثُ عنك ،

واعتذر للجمهور لما حدث من قطع للحديث وانصرفت أحلام بهدوء تام .

والد أحلام لم يكن يرى ما تحمله أحلام من قوة وإصرار ومحبتها للدفاع عن وطنها و الوقوف مع أهلها كان ذلك هدف من أهدافها . وفي طريق عودتها للمنزل ، قابلت أحلام أحمد .

أحمد : يا أحلام إني قد رأيت ما تقدمين على فعله ، ولك روح منفتحة وعقل مميز عن باقي فتيات القرية ، ما رأيك في الانضمام إلينا فنحن نجلس كل ليلة وندرب بعضنا على أشياء كثيرة .

أحلام : أ حقا يمكنني الانضمام ؟ كم أنا سعيدة يا أحمد ، سوف

أحضر من الغد ، أراك غدا

ذهبت أحلام للمنزل وهي في غاية السعادة ، وبينما أحمد كان واقفا يهمهم مع نفسه ؛ وكيف لا يمكنك الانضمام وقد لمست روحك روحي ، كفاك يا أحمد إنها ما زالت صغيرة ، لا لا ليست كذلك ، لا لا قضيتنا أهم من ذلك الشعور يا ابن الشيخ دعك من هذا الآن ، ولكن أرى نفسي فيها ، فذهب هو الآخر إلى منزله.

ومنذ ذلك الحين أصبح لأحلام مكانة في قلب أحمد ،و بدأت أحلام بأخذ دروس عنده ، و جالست مجتمعه كثيرا ، و لها من الفكر ما لأحمد تماما ، لذلك كان يراها مرآة لشخصيته ، تعمقت أحلام كثيرا في المعرفة و صارت تجتهد في العلم ، وكل الناس كانوا يلاحظون

وعي أحلام وصدقها ومحبتها لهم ، توسعت مداركها في الثقافة والسياسة وصار لها حلم وغاية تريد أن تصل إليها ،كرست جهودها من أجل تطهير مجتمعها من الفساد و الظلم والطغيان والديكتاتورية المستبدة تحت شعار (وطن واحد يسع الجميع)..

وذات ليلة قمرية ، خرجت جميلة القرية إلى دار القراءة وبينما هي في طريقها سمعت صراخ فتاة ،تصرخ بشدة وتنادي : ساعدوني ..ساعدوني... فأسرعت أحلام تتبعا لصدى الصوت وإذا بجندي ملثم ، ممسكا بفتاة من ثديها ويشدها إليه بقوة فجردها من لبسها وأخذ يلمس فخذيها،ويديها مربوطتان إلى شجرة وتعلو صراخاتها منادية بالمساعدة ، وكان الذئب البشري بلا رحمة فصفع الفتاة وقال لها اصمتي وإلا قتلتك ،فصدمت فتاة القرية ولم تتردد أحلام في الدفاع أبدا بل كانت شجاعة و أخذت عصا وبدأت بالهجوم عليه ، فضربته على رأسه بقوة ووقع الذئب مغشيا عليه من شدة الضربة ، و أنقذت تلك البريئة ، وتجمهر أهل القرية في مكان الحادثة و أُعدم الذئب ضربا من أهل القرية. وقد أثنى الجميع على أحلام ، وما كان لأحمد وأسرتها إلا بالابتسام والافتخار بها لأنها حقا شجاعة ، ولكن الذئاب تصيدُ دائما في مجموعات ؛ فكان أحد الذئابِ شاهداً على ما حدث لأخيه الآخر ، فأسرع بالهرب منهم ليخبر باقي قطيعه بما حدث في القرية ، ولم يلاحظ وجوده أحد.

أحمد : أصبحت لا أدري ما يدور في عقلي ، وكل يوم أحلام تدهشني بما تفعل من مواقف بطولية ، بالله عليك يا قلبي كفاك تعلقا، فالحب في هذا الوقت الصعب .

عبدالله : ما بك يا أحمد ؟ لما أنت واقف وحائر هكذا؟

أحمد : لست بحائر يا عم عبدالله ، ولكني أبحر في أعماق وجداني ،

أتسمح لي بأن أقول شيئا عن ابنتك أحلام

عبدالله : تفضل يا بني وقل ما تريد .

أحمد : إن لك فتاة جميلة تحب التحاور والتبادل ، تهتم بشئون القرية وأهلها ، طيبة ، تقية ،مطيعة ، شجاعة ، وتعلم ما يجب فعله عند الشدة

، وإني والله قد أعجبت بها فما رأيك يا عم عبدالله ؟!.

عبدالله : بارك الله فيك يا ولدي نعم إنها حقا فريدة ولكنِ صرت أخاف عليها مما تفعله وهي غير مدركة لما ستواجهه ،ولكن دعنى أسألها عما قلته لي ، وسوف آتيك بما هو مرضيٍ .

لم يتردد أحمد في الاعتراف لوالد أحلام ، بل صرح بما لديه من مشاعر يكنها لابنته ، ولكن والدها لم يكن يعرف ما يريد قوله فقد بات خائفا على ابنته كثيرا مما ستواجهه ، فقال لأحمد بأنه يجب أن يسأل ابنته عن هذا الموضوع ، الموقف البطولي لفتاة القرية ، انتشر سريعا بين القرى المجاورة وما تفعله هذه الفتاة من بين الأخريات ، صارت أحلام مشهورة ، و والدها مشغول البال على سلامتها .

دخل والد أحلام إلى منزله ، ووجد ابنته تحاضر مجموعة من النساء عن كيفية الدفاع عن أنفسهن إن لم يجدن معين في أي لحظة ، واختارت مجموعة من الفتيات من لهن رغبة في الانضمام لها وما كان لها بال لترى والدها يرمقها بنظرات التعجب والاستغراب

والخوف عليها من أن تضيع بين أزقة الحياة المُرة . وتلك الروح المثابرة لم تلاحظ أباها بل كانت تتعمق في الحديث ، تتسابق منها الكلمات لتجد مخرجا من شفتيها لترسي على بْرٍ من العقول الغارقة في بحرٍ من الظلم مسابقة بعضها لتصل إلى شاطيء الأحلام والحرية .

عبدالله : يا بنتاه إني والله قد ذهلت بغتة وما رأيتُ نفسي إلا وأنا واقف أشاهدُ واسمعُ ما تقولينه وكأني في حلمٌ ، ولكن عليك بأخذ الحيطة والحذر يا أحلام لأني و أمك لن نقدر على ضياعك منا .

أحلام : أبي العزيز لا تكن مذهولا إني تماما كما اردتماني أن أكون ، فباركني من عقلك علما ومن قوتك سعيا وإني غير الحرية والأمان لا أريد شيئا .

فاطمة : يا لجمالكما و أنتما تتحدثان والأم تراقب الشبل والأسد كفاك يا عبدالله دعها تواصل فالنساء هنا وهن ينتظرن ابنتك فدعها تكمل درسها لليوم الأول.

دار حديث قصير بين الأب والأم وابنتهما وكم هم فخوران بما تفعله أحلام لنساء القرية ، وحتى مع خوفهم لم يردعاها من فعل الصواب لا بل كان ذلك مصدر قوة لوالديها أيضا ، فانصرفت أحلام لتكمل درسها وتركتهما يتبادلان الحديث فيما بينهما ، وفي تلك اللحظة جرى حديث آخر بين فاطمة وعبدالله .

عبدالله : يا فاطمة ما رأيك في أحمد ابن الشيخ الراحل رحمة الله عليه فهو أيضا له من الحكمة والعظة كما كان لوالده وهو شجاع أيضا كما ترين .

فاطمة : انظر يا عبدالله إني لا أرى ما يعيبه أبدا ولكن هذا الجيل تفكيره يختلف عما كنا نحن عليه سابقا وأحلام ما زالت صغيرة في العمر ، دعها تقرر لوحدها من تريد ومتى يكون ذلك .

عبدالله : ولكن يا درتي إني صرت أخاف عليها فقد أتاني عمدة من القرية المجاورة وطلب مني أن أعطيه أحلام زوجة لابنه.

العمدة هو شخصية ترتكز عليه سلطة إدارية لمناطق أو قبائل أو أحياء في السودان وتكثر هذه الشخصية في الولايات السودانية إذ هو يقوم بعون المواطن أو القرية المعنية بتسهيل أمورهم وأخذ القرارات تجاه المنطقة التي يديرها وله مهام كثيرة.

فاطمة : و كيف كان ردك له يا عبدالله ، ألن تسأل ما تريده ابنتك

، أنت تعلم كثيرا أن هذا ليس وقتا مناسبا للارتباط.

عبدالله : انظري من حولك وسوف ترين كم أنا قلق عليها مما يحدث حولنا من اختطاف وقتل واغتصاب ، وابن العمدة سوف يأخذ أحلام إلى الخرطوم لتعيش بأمان وتبني أحلامها كما تريد.

فاطمة : ولكن العاصمة ليست حلم ابنتى بل حلمها الحرية وأن تعيش بأمان وترى أهلها في سلام دائم هذا ما أراه تماما عندما انظر لابنتي متأملة مستقبلها في عينيها.

عبدالله : أتقولين هذا !! سنرى ما سيحدث وسوف أتحدث معها قريبا عن هذا الموضوع وأرى ردة فعلها عنه .

فاطمة : لك ذلك ولكن لا تشد عليها دعها تقرر من نفسها ما تريد.

باتت الأسرة الصغيرة في همٍ على صغيرتهما من هؤلاء القوم الفاقدين للإنسانية وعن ثمرة أحلامهما التى أنارت حديقتهما بعد طول انتظار ، و تنسما أفراحهما بمجيئها .

الرحيل

ما فعله أهل القرية بذاك الجندي لم يكن إلا دفاعا وردا لما كان يحدث معهم من أحداث محزنة وموجعة، ولكن لم يكونوا على علم بما كانوا يخططونه لهم بعد قتلهم لفرد منهم .

القائد : يا لكم من حمقى لقد أخبرتكم مرارا وتكرارا لا تذهبوا فرادى بل في جماعات لتقمعوا شجاعتهم بهيبتكم وقوتكم ولكن إن ذهبتم فردا فردا فكلنا أموات أفهمتم هذا ، والآن أريد منكم تطهير القرى وجلب بعض الفتيات والفتية .

الجنود : وماذا عن كبار السن ؟ أنقتلهم أم نتركهم.

القائد : اقتلوا واحرقوا ما أريده هو تطهير المنطقة تماما وكيف ذلك ؟ أنتم تعلمون جيدا كيف تفعلون هذا .

أحد الجنود : أيها القائد هنالك قرية قد بات أهلها أقوياء أقوى مما سبق وكلهم يد واحدة ، فقد رأيتهم بعيني كيف يتدافعون للدفاع عن بعضهم البعض وهناك فتاة أرى أنها تثير الحراك بينهم .

القائد : اسمع أيها الجندي لا أريد أي تعقيب على ما أقوله ما عليك فعله هو الطاعة فقط ،كما قلت عليكم بهم جميعا فإن لي مستثمر يريد شراء الأرض .

الجنود : حسنا سيدي القائد .

وكيف السلام والإنسان يباع ويستغل من أخيه الإنسان ، و كيف الأمان و أخوك الإنسان هو من يطعنك بخنجره المميت ، إن هذا حال الكثيرين من البشر الذين يعيشون في بلاد يهمشون فئة معينة كما لو أنهم ليسوا ببشر .

أحلام : يا أحمد سأخبرك بسر ولكن لا تخبر أحدا عنه أسمعتني ؟

أحمد : وهو ضاحك حسن لن أخبر أحدا بما ستقولينه.

أحلام : لدي أمنية وأريد أن أحققها وهي أن أسافر إلى أوروبا وأصبح من أكبر الأطباء وأعود إلى موطني الحبيب وابني مشفى وراء المسيد وأعالج الكل بلا مقابل .

احمد : أحلامك كاسمك بالنسبة لي ، وأنا ايضا لدي سر أريد أن أبوح به وأتمنى أن يكون كما أريده .

أحلام : قل يا أحمد ماهو سرك .

احمد : انظري إلي ، أنا أريد أن أتزوجك ؟

أحلام : ماذا ؟ ولكن كيف ذلك يا أحمد أنا لا أريد أن أتزوج بل أريد تحقيق طموحاتي وأنظر الآن إلى ما تعانيه القرية وهمت بالذهاب دون أن تسمع منه .

أحلام لم تتوقع يوما أن يطلب أحمد منها الزواج ، بل لم تفكر مطلقا في الحب والزواج فكان همها الأول القرية والثاني أن تسافر إلى بلد بعيد لتحقيق أحلامها وطموحها نحو غد مشرق، و بقى أحمد في مكانه مكسور الخاطر ، مصدوما من كلامها فبقي شاردا لساعات طويلة .

فاطمة : ما بك يا أحلام ؟ ماذا حدث ؟

عبدالله : أتى مسرعا تاركا ما بيده من عمل ماذا حدث يا ابنتي ؟

أهناك شيء ؟

أحلام : أمي....أبي

.... أنا لا أريد أن أتزوج الآن ،أريد أن أرى قريتي سعيدة أريد أن أبني مشفى فيها وأن يتعلم أفرادها و يتحرروا من الظلم ويعيشوا بأمان .

الوالدان : كفاك بكاء ولن يحدث ما قلتيه إلا برضاك أنت ونحن أيضا نريد أن نشاهد ابنتنا وهي طبيبة وأخذاها في حضنيهما .

هنا قد علم الأب تماما ما تريده ابنته من أحلامٍ بسيطةٍ تريد أن تحققها ولكن ما لا تعرفه الفتاة هو أن والدها تعرض لضغط من أناس كثيرين طالبوه بأن يزوج ابنته سواء لأبنائهم أو لأنفسهم وقد عرضوا عليه أشياء كثيرة من مال و بيوت وماشية وسكن في حي من أحياء العاصمة ولكن لم يدرك تماما ما يفعله فبقي شاردا في هذه الأمور وكيف له أن يجبر فتاته على الزواج والابتعاد عن حياة المشقة التى ما زالوا يعانون منها بطرق شتى .

و في تلك اللحظات أتى أحمد مسرعا لمنزل الشيخ عبدالله وتبدو عليه حالات الفزع لعلمه من مخبر أتى إليهم من قرية مجاورة بأن جيشا من الجنود الملثمين قد دمروا بعض القرى وهم في طريقهم لقريتهم ، فما كان منهم إلا أن يقوموا بجمع أهل القرية و إخبارهم بالعاصفة القادمة إليهم ، فأمر عبدالله شباب القرية بعمل متاريس حول القرية لعرقلة

الجنود لحين إرسال النساء والأطفال لمنطقة آمنة حفاظا على سلامتهم لحين أن تأتي حركة المقاومة وتنقذهم فخرج عبدالله للحديث مع أهل القرية.

الشيخ عبدالله : يا أهلى ويا قومي إننا نفخر بوجودنا ونعتز بقاماتنا السابقين من جدودنا الذين ضحوا فداءً للعيش بكرامة وإنا لن نرضخ لأي نوع من الاستعمار أو الاستعباد ، واليوم نحن محاصرون من كل الجهات ولا معين معنا غير الله نحن فقط ، ما بلغني اليوم هو أمر يتكرر حدوثه بين الحين والآخر وخسرنا من خلاله الكثير من الأرواح بلا جدوى ، ما أريده اليوم هو أن تجتمع كل النساء مع بعضها وترافق أحمد إلى بر الأمان.

النساء : لا وكيف لنا أن نترك أزواجنا خلفنا وأبناءنا سوف نكون بالقرية كما كنا سابقا إلى أن تاتي المقاومة .

أحلام : وإلى أين سنذهب ؟ هنا موطننا يا شيخنا وسوف نقف كلنا جنبا إلى جنب أو نذهب كلنا إن متنا معا وإن حيينا معا ، لن اذهب إلى أي مكان وسوف أقاوم إلى حين وصول المقاومة إلى قريتي .

النساء : نعم إن أحلام تقول الحق لن نذهب ونترككم خلفنا ، وما الضامن أن جنود آخرين في الجهة الأخرى ففي كلتا الحالتين الخطر يحدق بنا جميعا فلا مفر من هذه المواجهة.

فاطمة : لن يكون الفرار مجديا بعد الآن ، وحتى إن وصلنا إلى العاصمة ألن نعامل بمثل هذه الطريقة ، دعونا في قريتنا وقم بإرسال شباب لدعوة المقاومة .

فشل عبدالله في إقناع أهل القرية بالنزوح ولم يكن يدري ما يفعل للنساء والفتيات فأمر بإدخالهن في دار لقراءة(المسيد) وأن يحرسهم مجموعة من الفتية ، وبينما الناس في خوف من الجنود وما يمكن أن يفعلوه بهم خرج فوج من الملثمين يحملون أسلحة و ذخائر تكفي لإبادة القرية وأهلها في لمح البصر متجولين حولها بدت وكأنها إشارات ترسل لهم تهديدا بأنهم وصلوا وسترون ما سيحدث لكم ، وكل رجال القرية كانوا يجتمعون لحظتها وليس لديهم سلاح للدفاع عن أنفسهم سوى العصا المصنوعة من الأشجار ، وظل الحصار قائما إلى أن أتى الليل بظلامه الدامس وبدأت تلك الذئاب بالتملص خفية داخل القرية وبالفعل دخلوا وبدأوا بإضرام النار أولا لتشتيت التجمعات فيما بينهم ونجحت خطتهم وبدأوا بالهجوم منهم على النساء والبعض الآخر على الرجال وهكذا حوُصِرْت القرية في ظلم الليل ونشبت حرب قوية لم ترحم فردا منهم وبين تلك اللحظات المريرة وقعت أحلام في يد جنديين لم يترددا في اقتلاع ثيابها كلها وهي تقاوم بكل قوتها أن تفلت منهما ولكن هيهات يا أحلام هؤلاء ذئاب لا تعرف معنى الرحمة أبدا ، فما كان لها إلا أن تصرخ ألما والذئاب تنبش على فريستها بكل شراسة ، فوقعت أحلام أرضا و وقع فوقها أحد الذئاب محاولا اغتصابها وهو على أتم الاستعداد فرأى أحمد مشهدا اقشعر بدنه غضبا وأتى مسرعا ، فقبض الجندي من فوق أحلام وأرداه طعنا بالسكين

،وأخذ يدافع عنها حتى وصلت لمجموعة من النساء فامسكن بها وفي لحظات من صراخ

، وأصوات طلقات الرصاص والدماء السائلة ، أتت رصاصة الغدر إلى صدر أحمد

وأردته قتيلا ، وصرخت أحلام بأعلى صوتها حزنا لما رأت عينها من موت وكسر و وحوش تفترس بلا رحمة ، لم تكن تعلم أن أمها أيضا قتلت وهي تدافع مع النساء الأخريات و أتت المقاومة مع ذهاب أرواح طاهرة كانت تحلم بالحرية والعيش بأمان ، وصل شباب المقاومة ولكن بعد فوات

الأوان ،دمرت تلك الحديقة بأشجارها كلها و تساقطت ثمارها و فقدت القرية والمقاومة أشجع أبنائها.

ألم

أصبحت القرية خرِبة وخالية لم يتبق فيها شيء ، سواء أهالي فقدوا و جردوا من حقوقهم عنوة ، وأحلامٌ تبددت ، لم يتركوا مسكنا على هيئته ولا بيتا إلا وفقد اثنين أو أكثر من أحبائه ، دمرت منازلهم تماما وما تبقى من أهل تلك القرية أصبحوا جميعا يعيشون في المسيد .

المسيد هو دار يوجد في وسط القرى يبنى للتدريس لأبناء القرية ويكون ملجأ لمن ليس له منزل .

عانت القرية كل انواع الجفاف و صارت بلا روح،

أصبح والد أحلام لا يرى وكيف يرى وقد ذهبت بصيرته بعيدا عنه وتركته وحيدا ، فاجتاح المرض كبار السن منهم ولم يكن للصغار قوة ليساندوهم ، وفتاة القرية ما زالت تقول أن لها أمل في فجر جديد ، ولكن لا أحد يسمع لما تقوله ، قد أصبحوا يائسين تماما و فاقدين لروح الأمل المغدور .

تسوء أحوال القرية المدمرة يوما بعد يوم ، ففي يوم يوجد الماء واليوم الآخر لا وحتى الأكل كان يصلهم بصعوبة ، فلم تجد المقاومة مساعدات لتقدمها للقرية إلا بالقدوم والاطمئنان عليهم بين الحين والآخر .

أحلام : لماذا اليأس؟ أصبحنا ضائعين ومشردين بدون أهل... بدون سكن...بدون وطن ...بدون شيء لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين و سنعمل معا لدعم الشجاعة في وجود الخوف و إعطاء الأمل حيث يوجد اليأس.

عبدالله : عندما سمع هذه الكلمات صار يشهق بالبكاء عاليا وهو يردد كفى يا أحلام لم نعد نقدر على فعل شيء بعد الآن فاصمتي عن هذا الكلام .

صمتت أحلام عند سماعها هذا الكلام من الذي كان يقويها فقد صار مهزوما لا يقوى على شيء .

تمر الأيام سريعا ونصبح بين السنين نجوبُ ،

مرت القرية المهجورة روحا بسنة كاملة من المعاناة ، صامدة ضد شلالات اليأس المنحدرة بقوة عليها من مجتمع لا يحمل صفة من الإنسانية على وجهه.

اجتهدت المقاومة كثيرا بالتفاوض مع قرى أخرى حتي توصلت لقرار مع قرية أخرى سمحت أن يضم هؤلاء القوم إليها وأن يصيروا منهم ، كان الأمر صعبا عليهم بأن يتركوا قريتهم ولكن ليس بها شيء ليقطنوها بعد الآن فصارت بقعة أرض ، ولكن أكدت لهم المقاومة أن القرية ستكون مقرها وبذلك يمكن لأي فرد بالقدوم إليها متى شاء .

أحلام : لا لن نذهب من هنا إنها دارنا فكيف لنا أن نتركها ونعيش بعيدا .

المقاومة : نعم هي داركم و ستظل كذلك ولكن انظري كيف حالها الآن لا ماء ولا زاد لكم والأمراض تنتشر بينكم ، ألا ترين ذلك في والدك .

أحلام : سنعود بعد فترة لقريتنا ونعمرها من جديد.

لم يكن لهم خيار آخر سوى الرحيل والبقاء هناك لفترة قصيرة ، فنزحت القرية إلى قرية أخرى تبعد عنهم بمسافة ثلاث أميال وعند وصولهم استقبلوهم بقلب رحب وقدموا لهم من الطعام ما يكفي جوعهم و أتوهم بطبيب يداوي مرضاهم ، فانبسط منهم من له قلب بسيط وزاد انكسار القلب الجريح .

و أسكنوهم معهم في بيوتهم ، وكان زعيم تلك القرية لئيما وجبارا فأخذ أحلام و أباها في منزله لأن والدها له مكانة بين زعماء القرى .

أحلام : يا والدي إني ما إسترحت لهذا أبدا ، دعنا نقطن مع فرد عادي من القرية وليس مسئولا.

عبدالله : لماذا يا ابنتي للزعيم فتيات في سنك يمكن مرافقتهن طوال الوقت وأنا ساكون مع الرجال .

أحلام : ولكنه يرمقني بنظرات لا تعجبني أنا خائفة جدا من بقائنا معه .

وبينما الأب والبنت يتبادلان الحديث كان ذلك الزعيم اللئيم واقفا ويسمع حديثهما ، وبدت عليه علامات الغضب عند سماعه لما تقوله أحلام عنه .

عبدالله : لا أعلم ما أقول يا أحلام فقد صرت مكتوف اليدين ، تقبلي هذا الوضع .

أحلام : كيف ذلك ؟ ولماذا يا أبي أنت فاقد الأمل وقد كنت أنت مصدر قوتي .

عبدالله : اسمعي كلامي واذهبي لدار الفتيات وابق معهن هناك .

ذهبت أحلام وهي باكية لما قاله والدها من كلام ،وصارت تتذكر والدتها التي رحلت في صمت قوي وتمنت أن تكون بجانبها الآن ولا وترى ما يدور حولها من غدر يتربص بابنتها.

بنت الزعيم : أأنتِ أحلام ؟ فتاة القرية الشجاعة الجميلة التي ما أن رآها أحد صمت من شدة جمالها ! لا أرى جمالا يحكى عنه اذهبي إلى المطبخ واغسلي المواعين وحضري الأكل للرجال لأن هذا أمر من أبي الزعيم .

أحلام : نعم أنا أحلام ولما أنا بالتحديد ؟ وليس أنت من تحضرين وأخرى من تغسل وترتب .

بنت الزعيم : من ؟ احذري يا فتاة فهذه قريتي والكل يرضخ لأوامري .

تفاجأت أحلام من حال القرية المستضيفة لها ، و دارت أفكارها بين عقلها، من جهة الجنود الملثمين ومن جهة أخرى الزعيم وأبنائه المتسلطين على مجتمعه ، و والدها الذي لم يعد يرى ويظن نفسه بلا فائدة .

لم تتحمل أحلام ما قالته البنت وذهبت لدار الرجال و وجدتهم مجتمعين ، فلم تترد للحظة في الحديث علنا عما قالته البنت لها وأن ذلك أمر من الزعيم نفسه .

أحلام : يا معشر الرجال مع احترامي لكم جميعا ، ولكن ما يحدث هنا خطأ نحن لا نعبدُ بعضنا بل نعبد الله ونحب بعضنا البعض ونتشارك ونتعاون ونحترم صغيرنا قبل كبيرنا،

أمامكم أقول لزعيمكم أنا مثلي مثل أبنائك ولست بخادمة لك أو لهم ، فبنتك ازعجتني بكلماتها .

الزعيم : يا فتاة ليومنا هذا لم يتجرأ أحد بنطق كلمة تعارضني،

إن أردت البقاء هنا فعليك بالصمت والزمي مكانك كامرأة ،

لأن نساءنا لا يتحدثن في حضرة معشر من الرجال انصرفي الآن.

أحلام: أما أنا فلست من ذلك النوع الذي يسكت عن حقه ، ولا تأمرني بشيء لأننا اتينا هنا لنشارككم لا أن نُشْارك في خدمتكم فقط .

تعجب معشر الرجال من قوة هذه الفتاة وجمالها فهي لم تخف ولم يهتز لها جفن كما بعضهم يفعلون عند قدومهم لزعيم القرية .

فغضب الزعيم كثيرا ومشى تاركا المعشر خلفه ،وقد رهب الجميع من ذلك لأن ذلك إن دل يدل على عواقب وخيمة قد تأتي لتلك الفتاة.

شجاعتها و جرأتها لم تتحمل كلمات الفتاة و والدها فتحدثت علنا معهم بأنها لن تقبل بتلك المعاملة المُرْة ، ولكنها لم تعلم بأن ذلك سوف يعود بصاعين لها ولوالدها الذى صار أعمى منذ تلك الحادثة .

و في ظلمة الليل أتى رجال ملثمين ودخلوا على أحلام وهي نائمة فأيقظوها من نومها بربطة على فمها ويديها أيضا وأخذوها لمكان بعيد عن القرية ووضعوها داخل بئر مظلم وتركوها خلفهم .

و في صباح اليوم التالي أتى والدها بحثا عنها لأنها لم تأت إليه كما كانت تفعل وسأل عنها وكل كان يقول لا نعلم أين هي فقد كانت نائمة وسط الفتيات و نحن لا ندخل عليهن أبدا ،لم يطمئن قلب والدها لما يحدث وصار يتجول في القرية وحده ويسأل عن ابنته ، فكان تارة يقع وتارة أخرى يقف ولم يكن به حيلة فقدان بصره أضعفه فلم يكن قادرا على إيجاد طفلته التي ما أن تصحو أتته و اطمأنت عليه .

مر غريب بتلك القرية ووجد عبدالله جالسا على الأرض ويبكي ولا أحد يبالي بحاله ، فاقترب منه وقال:

الغريب : ما بك يا أبي

عبدالله:

فأخذ الأب يدور برأسه ليعرف من أين هذا الصوت .

الغريب : علم أن الرجل أعمى وأمسك يدي الأب الضال ،

أنا هنا ولكن أخبرني أين منزلك لآخذك إليه .

عبدالله : لا منزل أملكه فقد دمرت قريتي وماتت زوجتي أتوا بنا للقرية هذه والآن لا أجد ابنتي .

الغريب : ماذا ؟ وكيف لا تجدها .

عبدالله : كما قلت لك لم أجدها منذ الصباح وهي مختفية ولا أحد يدلني أو يخبرني شيئا .

الغريب : ما اسمها ؟ أيمكنك وصفها لي ؟

عبدالله : اسمها أحلام ما أن تراها ترى الجمال من عينيها لا أحد يمتلك صفاتها .

تعجب الغريب لوصف والدها و أسنده على كتفه وبدأ يبحث معه عن ابنته الضائعة منه ، وسألا كل أهل القرية ولكن لا أحد يفصح عن لؤم الزعيم لأنهم يخافون منه ، وأتى المساء ولا أثر لأحلام فقال الغريب: لقد أتى الليل يا أبي دلني على منزلك أو مع من تسكن هنا .

عبدالله : في منزل زعيم هذه القرية ولكن لا أريد الرجوع لذلك المنزل ، دعني أبحث عن ابنتي وأشكرك على ما فعلته معي يا ولدي .

الغريب : لا لن أترك أحدا بحاجة لمساعدتي ،

أنا لي أقربائي يعيشون هنا وهم يحبون فعل الخير ، دعني آخذك معي وسوف يقدمون المساعدة في هذا الأمر .

عبدالله : أحقا سيقدمون لي المساعدة ، إن كان كذلك خذني إليهم .

الغريب : بكل تأكيد سيقدمون لك المساعدة لأنهم يعلمون ما يفعله زعيم القرية هذا. .

أخذ الغريب والد أحلام ليرى أناس يمكنهم مساعدته في إيجاد ابنته .

وكانت ابنته في حال يرثى لها ، مكتوفة اليدين ،طريحة على أرض يكثر بها الذباب وحشرات كثيرة وليس بيدها حيلة لتحل محنتها ، فلم تجد غير البكاء سبيلا .

تخيل معي بئرا مظلما ولا أحد يدركه غير الحيوانات الزاحفة والحشرات السامة وفيها روح نقية أبت الظلم ،ظلت أحلام في البئر ليومين كاملين دون أكل أو شرب مقيدة بالكامل وحتى النواح لا يخرج من حلقومها لأنه كان مربوطا بقطعة قماش ،تألمت كثيرا في وحدتها .

الزعيم : افتحوا غطاء البئر هذا ولنرى ماذا حدث لها .

تحدث الزعيم مع أعوانه من القرية وفتحوا له البئر ورآها كما لو أن لها سنينا سجينة وراح يحادثها قائلا:

لم أكن أريد أن أفعل هذا بك ولكنك مسست قوتي علنا وهذا عقابٌ على شجاعتك ولكن لدي عرض لك إن وافقت أخرجك من هذا الجحيم إلى أرض ملوك وملكات تتوجين بتاج من ذهب وقريتك ستعود كما كانت وسيشفى أباك من العمى لأنه سيؤخذ إلى أكبر الأطباء ويعالج عنده فما هو ردك .

افتحوا فمها لتتحدث معي و أعطوها القليل من الماء وبعض الأكل .

أحلام : دعني أخرج من هنا و سأرحل مع أبي بعيدا .

الزعيم : وهو يضحك بصوت عال ماذا أدعك تخرجين وتأخذين والدك ؟ تمازحينني أليس كذلك؟

أحلام : لا لا أمازحك فأنا أريد الخروج من هنا .

الزعيم : وماذا ستفعلين بعدها ، تثورين ضدي لأني أعلم خلفيتك الثورية في قريتك وكل الناس هنا يعلمون ذلك .

أحلام : أ أنت خائف من ثورة تعمها الوعي أم خائف على نفسك فقط، بعد أن يعلموا ما تفعله بمن رحلوا قبلي بنفس الطريقة وقلت بأن الجنود اخذوهم .

انصدم زعيم القرية أمام عزيمة تلك الفتاة ولم يجد ما يقول ردا على كلامها فقال لخدامه عليكم بتعذيبها حتى تفيق من حلمها للحرية .وتركها لعذاب مرير

اخرجوها من البئر و وضعوها أرضا وقاموا بضربها إلى أن فقدت وعيها تماما . ضُربت فتاة القرية الشجاعة ضربا مبرحا تمزق قلبها ألما من شدة الضرب وما وعيت بعدها إلا وهي في غرفة مظلمة كما كانت في بئر مربوطة من ساقيها ويديها ويوجد رجلان خارج الغرفة .

فقال احد الرجلين للآخر : يا صديقي ألم تر كم هي جميلة وبعد كل هذا العذاب لم يمت جمالها ،ونحن لوحدنا الآن فما رأيك في أن نتبادل الأدوار بها ولن يعلم أحد بما سيجري هنا وحتى إن علموا لن يصدقوها فهي من جنت على روحها فرد الآخر قائلا :

نعم هي جميلة كما قلت ولكن ماذا لو صدقوها ،

فإن الزعيم لن يرحمنا يا هذا لأنه كان يرمقها بنظرة حب كما رأيت ذلك من أول يوم عند قدومها لقريتنا هذه ، فدعك من هذا .

فرد الآخر قائلا : ونحن نعلم سيئاته كلها ومع من هو يتعامل وكيف يبيع فتيات من قريتنا وأخريات للجنود الملثمين ويجمل وجهه أمام سكان هذه القرية المساكين ، فهو يعلم تماما أن هذه الفتاة لديها سلاح قوي وهو الشجاعة لذلك ما سنفعله بها لن يضره لأنها ستنكسر .

من جهة يتآمر ضدها من وضِعُوا لحراستها ومن جهة أخرى الوالد والغريب وأسرته يبحثان عن أحلام ،وهي في واد آخر يسوده الذئاب البشرية أينما ذهبت ، فلم تجد لنفسها سبيلا غير أن تفوض أمرها وتنتظر منقذها الإلهي ليخرجها من هذه الظلمة إلى نور يضيء حياتها .

أسرة الغريب : يا حاج عبدالله لا تيأس فنحن معك ، وسنجد أحلام قريبا ولكن ما لا تعلمه عن هذا الزعيم وأفعاله نحن على علم به ولن ندعك وحدك فكم أنتم محبون للخير كما اعتدنا أن نسمع عنكم .

عبدالله : إن لكم علي جميل لن أنساه ما حييت أبدا وكيف وقفتم معي في محنتي هذه ، ما سمعتموه عني لم يكن إلا ما وهبني الله لأقدمه للناس .

أسرة الغريب قد سمعت عن قرية عبدالله كثيرا وما كان يقدمه هو و أسرته ، فكانت خير مثال للقرى الأخرى وما تحويه من وحدة بين أهلها وكيف كانوا يصدون هجمات العدو بالأمل والروح الجاهدة ، وفي هذه الأسرة فتاة تدعى زينب ، كانت تسمع عن أحلام كثيرا وتشوقت لتراها على أرض الواقع ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ وحزنت لسماعها باختفاء أحلام وما حل بها من غدر الزمن.

زينب : ألن نجد أحلام في قريتنا ؟ وما الذي فعلته لتعامل بهذه الطريقة ،

إني حزينة عليها .

الغريب : أرى ان الكل يعرف أحلام و أن لها قصصا يعلمها الكل إلا أنا فأخبريني عنها يا زينب.

زينب : لا أحد يتحدث ، دعوني أخبره عنها ،هي فتاة جميلة خلوقة رزينة وتحب فعل الخير كثيرا ، لم تقبل الظلم لأهلها ووقفت ثائرة مرارا وتكرارا و بفضلها أنقذت فتيات من ذئاب بشرية لم تعرف الرحمة ،

وإن كنت قد مررتُ بما مرت به هذه الفتاة لما صمدت لحظة كم هي قوية ولكن انظر ما حل بها من وراء الاستقواء.

الغريب : يااه كم غصتُ تأملا في شخصيتها و إشتقت لرؤياها من كثرة الحديث عنها وما فعلته هذه الفتاة.

أسرة الغريب : يا زينب اذهبي وأخبري إخوانك أن الوقت قد حان لنجد أحلام فقد طال فقدانها على أبيها طويلا فهو من شدة شوقه وخوفه عليها صار مريضا .

همت الأسرة وانطلقت لمنزل الزعيم أولا لتتحدث معه وعن ما فعله بتلك الفتاة إذ هم من أقربائه ويمكنهم الحديث والاعتراض على يفعله .

الزعيم : حللتم سهلا تفضلوا بالجلوس يا أهلي الكرام ، لقد سمعت بأنكم تساعدون ذلك الأعمى .

أسرة الغريب : العافية والمرض من عند الله ولا يوجد داعي لتشمت به، فهو أعلى منك حكمة ووعيا ، ما أتى بنا هو أن نسألك عن أحلام وأين هي ؟

الزعيم : و ما أدراني بمكانها فهي أدرى بحالها ،استأذنكم بالرحيل فإن لدي عملا أهم منها.فذهب تاركا خلفه الناس في حيرة لما سمعوه .

أتى الليل أحلام ما زالت محبوسة في تلك الغرفة مقيدة بحبل اللإنسانية ، تراقبُ من ذئاب تحاول نهشها من لحظة لأخرى

،وأحلام عاجزة عن الصراخ و المقاومة فقد كان التقييد محكما.و صارت تتحدث مع نفسها قائلة لها :

لما الضعف يا أحلام وأنت خير مثال لقوة المرأة فكوني قوية ولا تتركِي الخوف يضعفك ، ولكن إلى متى سيطول هذا وأبي هناك ينتظر قدومي ولا أعلم حاله الآن وكيف هو ؟ أ يأكل ويشرب ؟ أ ينامُ الليل أم يظل واقفا بين أزقة هذه القرية الواقعة تحت ظلم ديكتاتوري من قبل زعيمهم المتعجرف هذا ، فلتعينهم يا الله وبأن لا تسمح بكسر خاطرهم كما حدث معنا وضاع الكثير منا وصرنا لا نملكُ شيئا .

وإذا بباب الغرفة يفتحُ فجأة وبقوة ارتعد جسدها ذهولاً لما هو آتٍ نحوها وإذا هو رجل مِنْ مَن وُضِع لحراستها وصار يردد لها كلمات ويبدو عليه السكر وهو يقول :

اليوم لن تنجي من قبضتي أيتها الحرباء ، تدعين الشجاعة والقوة دعيني أرى ما يمكن لشجاعتك أن تقدم لكِ وأنتِ لا حول لكِ ولا قوة.

وأخذ الوحش بخلع ما تلبسه أحلام بوحشية وتتخاطف يداه لملامسة جسدها وخلع ثيابها مما سبب لها من خدوش في جسدها ،ولم تقو أحلام على فعل شيء وكيف يكون ذلك وهي مقيدة من رجليها ويديها وحتى فمها لم يسلم من التقييد ،وذاك الذئب المتوحش بدأ يتحسس جسدها بلمس ثدييها وضربها وشدها من خصرها بشراسة وأحلام ترفض الرضوخ وتقاوم بجسمها و تدفعه بعيدا عنها وما كان له إلا أن يخرج سكينا من جيبه وأخذ يهددها للاستسلام و لكن هيهات لك أيها الوحش فالفتاة قوية وليست سهلة المنال ،ولكن إن جاع ذئب كلنا نعلم مدى عدوانيته و مرر السكين على فخذي أحلام مُعلِما جسدها بجروح بليغة تفيض دما ،ألمٌ ألمٌ ألمٌ ..لم يجد سبيلا للخروج فبقى حبيسا يدمر الدواخل، فضربها على رأسها وافقدها وعيها ،صار الجسد جسدا وروح تلك البريئة لم تعي بعدها شيئا ، وافترس الحيوان فريسته بالكامل وأرضى جوعه بشرفها ، ليس ذلك فقط بل دعا صديقه ليشاركه في افتراس الفريسة وتبادلا الأدوار فيها إلى أن صحيت ووجدت نفسها بين رجلين نائمين ، تدمرت أحلامها وتمنت أن لا تصحو من نومها وفيضان من دموع ينزل على خديها كملح وضع على جرح ، واستيقظ أحد الذئاب فرأى ما فعلاه بها ليلا ولم يكتف بذلك فقط وقال لها:

أترين ما أصابك الآن هذه قوتك وشجاعتك وأخذ القماش من فمها بقوة ودفع برأسها إلى الخلف.هنا لم تتردد أحلام في الصراخ عاليا يكاد أن يفجر طبلة أذنه فضربها مرة أخرى وربط فمها واستيقظ الآخر من شدة الصراخ ومشيا خارج الغرفة تاركين أحلام في ذلك الألم .

صورة مشوهة

وبينما الأسرة تبحث هنا وهناك أتتهم زينب مسرعة وهي تقول : أسمعتم هذا الصراخ قد كان عاليا .

الأسرة : نعم نعم يا زينب لقد سمعنا هذا ونحن الآن في دربنا لاتجاه الصدى القادم منه الصوت فهيا بنا.

عبدالله : ونحيبٌ يرتدي صوته ؛ خذوني إلى مكان الصوت هذا ،إنه صوت ابنتي أحلام ويمكنني تمييزه من بين آلاف الأصوات خذوني إليها .

اعتمرَ الحزنُ رؤوسهم ولم يقدروا على قول شيء والأب يتخبط بينهم وهو يحاول أن يمسك بأحدهم من يده ليأخذه إلى أحلام .

الأسرة : أمسكوه وصاروا يهدِئونه والحزن على حالهِ يُدْمِعهُم ألماً .

قال الغريب في نفسه : أهكذا يعامل أهلنا في غيابنا ونحن في الغربة نظنهم بخير ،تغربنا من أجلهم ومن أجل راحتهم والله إني أرى الغربة أنانية منا ولكن لم يكن لنا حيلة ، فالحروب شردتنا وأخذت أحباءنا بعيدا عنا ،أُغْتُصِبنا من مجتمعنا نفسه وما زال قائما على من بقوا منا .

فاتجهوا مسرعين صوب الصدى المسموع فكان مصدره من منزل مهجور موجود في آخر القرية ، ورأوا رجلين يجلسان على الأرض وهم يتبادلان الحديث ويضحكان ، فأسرعوا صوبهم ليسألوهما ولكن ما أن رأيا أهلها قادمين هما بالفرار وتركا المكان خوفا مما فعلاه بتلك البريئة وما يمكن لأهلها فعله بهما ، وعندها علمت الأسرة أن أحلام محبوسة في ذلك المكان فكانت زينب أول من تهرول بالجري لترى إن كانت أحلام بتلك الغرفة ، عند دخولها في تلك الخرابة وجدت منظرا لم يتصف بالرحمة ولا الإنسانية ، منظر اقشعر منه بدنها و أخذت تصرخ كما أنها هي من فعل بها هذا....

وهي قائلة:

أحلام أحلام لا لا هذا أبشع ما أراه وهي تبكي مما تراه و فكت يدي المحبوبة ورجليها وأبعدت القماش عن فمها وغطت جسد أحلام في ذهول تام للقسوة التي تعرضت لها من تلك الذئاب البشرية .

أحلام : راحت تصرخ وتصرخ بطريقة هستيرية وهي تقول لقد دمروني فلم أسلم من شرهم يا أختاه وهي تتألم كثيرا ، فارتمت في أحضان زينب وهي تقول ما الذي أقوله لوالدي ؟ وتبكي عاليا كان عليهم قتلي وكفى ، لا أريد ان أحيا بعد الآن .

زينب : لا تقولي هذا يا أحلام فلم يكن بيدك حيلة وأنتِ تعلمين هذا جيدا فرجاء اصبري حتى لا يحدث لوالدك شيء فهم قادمون خلفي .

أحلام : كيف أنظر إليه ؟

عبدالله : أحلام أين أنتِ ؟ ابنتي ...جنتي .. وهو يبكي ويمد يده ليمسك بها .

أحلام : وهي باكية يا والدي أنا هنا بصوت جريح يشق طريقه ألما، هنا ....هنا... فأمسكت بيده و ضمته بقوة وهي تبكي وتقول ضاعت زهرة بستانك يا والدي .

فصدم الجميع لحال أحلام وما فعلوه لا يجسد معنى لوجود الإنسانية ، فأحاطوا أحلام و والدها و بدت الدهشة في أعينهم ولكن خوفا على والدها لم يصفوا ما رأوه بعيونهم ، وكيف يرى جروح طفلته وما فعله الوحوش وهو فاقد لبصره فقد كان هذا ألمٌ آخر لوالد أحلام .

الغريب : يا عبدالله ما حدث لابنتك لم يكن بمحض إرادتها ، المذنبون فعلوا ذلك وإن أحلام الآن بضرر كبير يجب أخذها لطبيب ليداويها سريعا وإلا ضاعت من أيدينا .

زينب : ماذا تفعلون ؟ هذا ليس وقت للحديث ، ألا ترون كيف حالها فبها من الجروح ما تكفى لسيل فيضان من الدم ، فهيا نأخذها للطبيب حالا.

عبدالله : ماذا قلت ؟ سيلان من الدم !لا لا فانا لا أرى كيف حالها الآن وبدأ بالصراخ أخبروني ما فعلوا بها ولا تخفوا عني شيئا .

أسرة الغريب : توقفي يا زينب دعينا نخبره ولكن لاحقا ، فأما الآن علينا أخذ أحلام للطبيب .

عبدالله : لا لن نتحرك من هنا إن لم تخبروني ؛ وهو ممسك بيد أحلام وهي تبكي وتقول لا تخف يا والدي سأكون بخير ، ولكن الذئاب البشرية اغتصبوني.

وهنا كانت الفاجعة لوالدها ،فوقع من طوله دون حراك وبقى صامتا فصدمت أحلام خوفا على حياة والدها ، فلم تكن تعلم أنه ضعيف القلب هكذا ظنته قويا كما كانت تقول ، ولكن الأحداث المتوالية من ظلم و حقد أضعفت قلوبا كثيرة من أناس كانت الشجاعة رمزهم ، حزنت أحلام كثيرا على ما رأته أمامها من عجز والدها وعدم تقبله لما قالته .

الغريب : يا زينب غطيها جيدا

لأننا سنأخذها للطبيب حالا ، وأنتم عليكم بوالدها هو الآخر في حاجة للطبيب أسندوه .

تم أخذ أحلام و والدها للطبيب للتداوي وبقيت أحلام تحت إشراف الطبيب لمدة شهر كامل ولم يزرها والدها في تلك المدة ، ولكن تكونت علاقة اخوية بينها وبين زينب فقد كانت تزورها يوميا وتخبرها عن حال والدها و تحكي معها لساعات طويلة وإن طال الزمن بهما تنام معها في دار الأطباء .

أحلام : زينب ألا يسألك والدي عني؟ أرجوك لا تخفي عني و أخبريني بما يقول .

زينب : يا أختاه إن والدك مصدوم لما حدث معك ،وهو لا يقول شيئا ولا يتحدث مع أحد ولكني أراه في الليل يبكي وينادي على أمك ويقول : يا فاطمة إن حلمك تدمر بالكامل .

أحلام : رباه خذني بعيدا .

زينب : بعد الشر عليك يا أحلام ، ولما هذا القول يا أختاه ، أتريدين تركه وحيدا لا... لا... تفكري بهذا الكلام مطلقا و كوني واعية كما سمعت عنك سابقا.

الطبيب : مساء الخير يا ملكات لدي خبر سار لكما وهو أن أحلام تحسن حالها قليلا ويمكنها الذهاب للمنزل ولكن عليها بأخذ الدواء في ميعاده المكتوب على هذه الورقة .

فرحت زينب لأنها ستأخذ أحلام للمنزل ولكن ماذا عن أحلام التي تحطمت وانكسرت دواخلها ، ومن هو سندٌ لها لم يقف بقربها حتى وهي على الفراش التداوي بل مشى بعيدا ولا يحدق نحوها ، همت أحلام كثيرا لنفسها وكيف تجعل والدها يتحدث معها كما كان يفعل .

وصلت أحلام للمنزل برفقة صديقتها التى أحبتها وغمرتها بحنانها وكانها أمها ، وعند دخولهم للمنزل استقبلها الكل بقلب رحب إلا والدها لم يحركُ ساكناً ، فقالت لنفسها هو حزين الآن ربما يتحدث معي لاحقا فجلست أحلام وسطهم .

الغريب : حمدا لله على سلامتك يا أحلام ،خذي راحتك فالمنزل منزلك الآن والكل يحبك .

أحلام : رااحة؟ أتقول راحة ؟ ومن أين لي براحة ومن يفعل بنا هذا هو حر طليق لن ارتاح ما لم آخذ حقي .

عبدالله : أي حق بعد الآن ؟ وهل ما زلت تفكرين بالحرية والسلام إلى الآن ، كفاك بالله عليك فقد أخبرتك أن لهذا عواقب وخيمة ولكن لم تسمعي كلامي أنا وتبعت ما يمليه عليك رأسك ، أأنت مبسوطة الآن لا أريد أن أسمع أي شيء منك بعد الآن فما أقوله هو ما يُسمع فهمتِ هذا ؟.....

و فجأة أغمى على والد أحلام وفزع الكل وابنته تصرخ منادية والدها بأن لا يتركها وحيدة كما فعلت أمها . فأسرعوا وأتوا بالطبيب

– فحصه وكانت النتائج غير مبشرة لهم،

أصيب والد أحلام بمرض خطير في القلب ولن يتحمل أي شيء بعد الآن ، نصحهم الطبيب بعدم إزعاجه مطلقا .

جلست أحلام منهزمة وباكية لما حل بوالدها و صارت تلوم نفسها على ماحدث .

عبدالله : ابتعدي عني ؟ لا أريد شفقتك علي فقد جلبت العار لنا كلنا.

أحلام : تتحدث مصدومة عععاااار؟ أهذا أنت يا والدي من يقول ذلك.

الغريب : لا تتحدثي بالطريقة هذه فقد قال الطبيب أنه لن يتحمل بعد الآن .

عبدالله: أتريدين راحتي أم لا ؟

أحلام : بكل تأكيد يا والدي ما يريحك يفرحني أخبرني بما تريده وسوف أفعله إن قدرت عليه.

عبدالله : عليك بالزواج من عمدة قرية صادق فقد أخبرني منذ مدة طالت بأنه يريدك زوجة ، سأذهب له غدا لأرى إن كان يرضى بك بعد هذا.

أحلام : أرجوك يا أبي لا تفعل هذا ....تبكي

تترجى والدها ألا يزوجها ولكن لم يسمع ما تقوله .

الغريب : أتسمحين لي بالجلوس مع والدك ، خذيها يا زينب . يا عبدالله إن لي قريبا بالخارج فقد أخبرني أنه يريد زوجة ، أتسمح لي بالحديث معه عن أحلام،

وإن هذا لخير لها من أن تبقى في هذا البلد مجددا ، فهناك ستبني مستقبلا أفضل وتفخر بها من جديد .

عبدالله : إني موافق عليه

أرجوك لا تتحدث عن الافتخار مجددا وتحدث مع قريبك اليوم وأخبرني برأيه إن وافق عليها بحالها سنرسلها له ، أما إن رفض سأذهب للعمدة.

ذهب الغريب ليجري اتصالا مع قريبه الذي بالخارج وأخبره عن أحلام بالتفصيل وماحدث لها من معاملة قاسية ولم يكتف بذلك فقط بل أخبره عن مدى جمالها ووعيها وحكمتها فرفض عرضه .ولم تمر دقائق على فصله للمكالمة وعاود الاتصال مجددا وقال للغريب بأنه موافق فرح الغريب كثيرا لسماعه ذلك ودخل على والد أحلام وقال له :

لقد وافق على ابنتك يا عبدالله فارفق عليها الآن.

عبدالله : فرح لأن أحدا قبل ابنته

..وأخذ ينادي يا أحلام يا أحلام تعالي هنا .

أحلام : نعم يا أبي

عبدالله : لقد وجدنا من يقبل بك وهو بالخارج فلتتجهزي لأن قريبا جدا سنرسلك إليه .

لم ترد أحلام على والدها فقد صدمت مما يفعله .

زينب : أحلام أنا لا أريد أن أحطمك ولكنها فرصة لن تعوض أبدا،

إن كنت مكانك لإخترت من هو بالخارج بدلا من العمدة الذي يكبرك عمرا و هناك يمكنك عمل الكثير عكس هنا تماما .

ما زالت فتاة القرية البريئة صامتة وتفكر بوالدها إن رفضت ما يقول فإنه حتما سيموت لأن الطبيب أخبرهم بعدم قدرته على التحمل ،فخرجت لوالدها وقالت له :

أبي أهذا يرضيك ؟ أهذا يريحك ؟ إن كان ذلك فإني موافقة على ما تقول .

عبدالله : نعم هذا ما أراه صحيحا وأنا أيضا موافق عليه .

مرت الأيام بسرعة وبدأوا بتجهيز أحلام للسفر خارجا، ما فعلته البريئة لم يكن بمقدورها الرد أو التحاور مع والدها ، لأنها إن فعلت ستفقده إلى الأبد وهي لا تريد ذلك فضحت بنفسها من أجل والدها المريض تاركة قريتها و كل القرى خلفها .صارت أحلام جاهزة للسفر لمن تزوج بها وهو في غربته ولا تعلم عنه إلا القليل بعد أن أخبرها الغريب عنه .

القريب هو شاب في أول الثلاثين من عمره فقد اغترب منذ زمن بعيد ولكنه ينتمي للقرى المجاورة من قرية أحلام ،ويدعى عليٌ .

عليٌ شخصية تغيرت عن طابعها القروي بعد ذهابه خارجا ، وبنى لنفسه مجتمعا آخر مختلفا تماما عما كان عليه سابقا.

أرض الأحلام

خرجت أحلام من بلدها إلى بلد آخر لا تعرف عنها شيئا ، تاركة خلفها والدها الذي حزن كثيرا على فراقه ابنته الوحيدة وقد حزن على ما فعله من قسوة بها ولكنه ظن أنها لن تعيش بأمان هناك فعاملها بتلك الطريقة القاسية .

كانت أحلام على متن طائرة كانت تحلم بركوبها في يوم من الأيام ولكن ليس بتلك الطريقة

فأخذت تبكي وتبكي على حالها وعلى فراقها والدها إلى أن غاصت في نوم عميق ، واستيقظت على صوت مضيف الطيران وهو يقول لها استيقظي يا أختاه فقدت وصلت رحلتك بأمان .

نزلت أحلام في مطار يكبر قريتها ثلاث مرات فقد كان كبيرا جدا ،ويُكْثرُ فيه الناس حاملين حقائب متنوعة المقاسات والأشكال والألوان ، اندهشت كثيرا من تلك المشاهد وكانت ترى الناس في طابق من فوقها و إذا بها تحلق برأسها يمينا و يسارا.

إلى أن اصدمت بشخص كان يبحث بين الناس عنها فاعتذرت له وواصلت مشيها وهى ما زالت تنظر هنا وهناك ، فأتاها مسرعا وقال لها :

أحلام ...أأنتِ أحلام .

هي : نعم أنا أحلام من تكون؟

هو : أنا علي زوجك، فمرحبا بك بيننا.

لم تصدق أحلام ما تراه أمامها، عليٌ شاب جذاب جدا وتبدو الأناقة ذوقه ، كان يلبس بدلة رمادية اللون و حذاء بنيُ الشكل وفي معصمه الأيسر ساعة فخمة يزينها اللون الرمادي والأسود.

أحلام : شكرا لك .

عليٌ : تفضلي من هذا الاتجاه للخروج من المطار.

أحلام : أهذا مطار فقط ، ظننت أن الناس تعيش هنا أيضا فالمكان كبير جدا .

عليٌ : لم تري شيئا حتى الآن تعالي خارجا وسوف تندهشين.

أحلام :حسن.

تعجبت أحلام من جمال لم تره من قبل ،مدينة جميلة وكأنها رسم في الخيال ، و لكن كان ذلك حقيقة تراها بعينها حيث يوجد الكثير من السيارات والمباني الشاهقة تكاد تلامس السحاب من شدة طولها ، ومقاهي على الطريق والناس جلوسٌ فيها والكثير من المطاعم .

اكتفت أحلام بالنظر حولها وهي في طريقها للمنزل الجديد ، وفي غربة عن أهلها وأبيها المريض، تركت قلبها خلفها ولكن تذكرت والدها وبدأت تبكي في صمت لم يلحظه عليٌ فقد كان سائقا للسيارة وأحلام تجلس في الخلف ، لم يدرك أن زوجته تبكي وظلت تبكي إلى أن وصلا إلى المنزل.

عليٌ : لقد وصلنا يا أحلام ...هذا هو منزلي ...

تفضلي بالدخول .

أحلام : إن منزلك جميل وكبير أتعيش وحدك أم معك عائلتك .

فضحك علي قائلا: لا أحد يعيش هنا غيري أنا ،ولكنكِ من سيعيش معي وهذا منزلنا الآن فادخلي.

دخلت أحلام للمنزل وتعجبت لجماله ودقة تصميمه وقفت وسطه وهي تنظر من حولها و تقول : منزلك جميل جدا يا عليٌ ولم تكمل حديثها عن وصف المنزل ، فأتاها عليٌ من الخلف بغتة وهو يقول :

علي : جمالك ساحر وقوامك فاتن فكيف لأحد أن يقوى أمامك يا أحلام فأنتِ حقا حلمُ كل رجل يرى جمالك هذا كم أنت فاتنة يا فتاة القرية.وحضن أحلام بشدة من الخلف .

أحلام : فزعت كثيرا ونفرت منه بقوة مبتعدة عنه ولا تصدق ما ترى ، فلم تعتاد عليه بعد وقد بدأ يتصرف معها بتلك الطريقة .

عليٌ : ماذا حدث يا فتاة القرية الجميلة أنا زوجك ولست جنديا لتخافي مني ، فتعالي لحضني ودعيني احتضن هذا الجمال .

أحلام : وإن لم تكن جنديا ولكنك مثلهم ، أرجوك دلني على مكان نومي فأنا أريد أن أستريح أولا .

عليٌ : تستريحي ؟ وماذا عن راحتي أنا ؟ انظري يا فتاة لقد سمعت عنك ما يكفي وما أوتي بك هو ما تسمينه شجاعة وقوة وهنا هذه الأشياء لن تنفعك .

دار ذلك الحوار بينهما مما صدم أحلام لما يقوله عليٌ وكيف يتحدث عن النساء بوقاحة بل حتى إن تعامله يبدو قاسيا ، لم تشف جروحها بعد وبدأ ينبشها من جديد من ظنت به وأهلها خيرا لبنتهم وأرسلوها بقلوب مطمئنة أنها ستعيش بأمان ، وكيف يكون الأمان مع تشابه الصفات بينهم .

عليٌ : غرفتك في الأعلى اذهبي الآن .

أحلام : اتجهت نحو غرفتها ووصلت لبابها ودخلت لترى غرفتها وقبل أن تغلق الباب عليها أمسكه عليٌ وبدأ ينظر لأحلام بشدة وهو واقف أمامها مباشرة. ما بك يا عليٌ ؟

عليٌ: أتسالينني ما بي ؟ و قد جرحتي مشاعري برفضك لي .

أحلام : لم أرفضك يا عليٌ ولكن هذا ليس وقته ، دعنا نعرف بعضنا البعض أولا .

عليٌ : ألم يخبروك من أكون أنا ؟

أحلام : أتظن أن معرفة اسمك ووصف أحد لك هو معرفة كاملة ؟ لا هذا لا يكفي دعنا نعرف بعضنا قبل كل شيء .

عليٌ : حسن أعلم ما تريدين قوله عن نفسك ، طموحة وخلوقة ولديك حلم تريدين تحقيقه ، وما حدث معك لم يكن بمحض إرداتك وأنا آسفة على هذا يا زوجي العزيز ، أنتم يا نساء كثيرات الحديث والنفاق ، وكيف أصدق أنك لم تكوني على علاقة بأحد ؟

أحلام : ما هذا الفكر الرخيص وكيف تتحدث عن كل النساء لخطأ واحد حدث مع إحداهن ، نعم إنني طموحة ولدي أحلام كثيرة ولا أنكر ما حدث مؤخرا لأن ذلك لا يعد حادثا وإنما جريمة اغتصاب ،وهذا لا يعيب شخصيتي ولا شخصية أخرى تعرضت لمثل هذا الظلم .

لم يتحمل كلماتها وصفعها صفعة أنزلت أحلام أرضا وأحمر وجهها والدموع على خديها وتركها داخل الغرفة و أغلق عليها الباب .

لم يرحمها المجتمع ولم يتقبل بعد ما حدث لها بل رأوها وصمة عار لهم ،أبعدوها بسوء معاملتهم لها ،وأنكروا الحادثة بالفعل المتعمد من عدم قبولهم لأحلامنا التي تبددت طموحاتها أدراج الرياح.

حزِنت كثيرا لما حدث لها وما سيحدث في غربتها ولا أحد تعرفه في البلد الغريب عنها ، بكت أحلام كثيرا لحظها المشئوم وماذا تفعل لتخرج من هذا المأزق الكئيب من أوله ، سهرت أحلام الليل بطوله وهي تفكر لماذا يفعل عليٌ ما فعله بها ؟ وهل كان الغريب يكذب عليهم ؟ فقد كان وصفه عكس ما رأت عيناها . وكان الآخر يجلس في غرفته ويخطط مع نفسه لجعل أحلام تندم على دفاعها عن نفسها ،وكيف ترفضه بهذه السهولة لم تمر ساعات إلا وبه يفتح باب الغرفة ويجد أحلام في محرابها تدعو الله العلي أن يجيرها في مصيبتها هذه ،نظر إليها جيدا ووقف حتى أكملت أحلام دعاءها و قال لها :

يا فتاة القرية ويا بنت الوالد الأعمى اليوم لن تفلتي من قبضتي كما فعلت سابقا لأنك إن فعلت سترين شخصا آخر غير الذي يقف أمامك الآن ،فأحسنِي التصرف و إعطني ماهو ملكي .

أحلام : أنت لا تملكني فأنا لست بسيارة أو منزل أو قطعة قماش لتقول هذا ، أنا بشر كما أنت بشر وما هو بيننا يسمى ترابط وتكامل وله احترام أيضا ، ولكنك لا تحترم هذا .

عليٌ : توقفي عن هذا ومن أنت لتتحدثي عن الاحترام وقد فقدتِ ما هو أثمن للفتاة ، فاصمتي أمرا وليس رجاء وسوف آخذ ماهو لي مهما كلفني الأمر و سترين.

فشدها وتصارع معها كثيرا وسبب لجسدها الكثير من الألم ، فهي لم تُشْفى بعد من جروحها السابقة فأبكاها وأبكى جروحها دما ، وفر بالذهاب مسرعا بعد أن آلمها وتركها محبوسة .

تحطمت أحلام كليا هذه المرة فلم يعد للأمل سبيل ، وما كانت تريده لم تعتبره إلا سرابا و مشت تحلق فوق صحراء لتجد بها أشجارا جميلة فلم تجد غير الوحشةِ ملجأ وأن عشمها الزائد أدى بها إلى خيبة أمل كبيرة و ضنك العيش . فقدت ظنت أنها ستعيش في أرض أحلامها بسلام ولكن هيهات يا زهرة قطفت قبل الصباح.

ذهب عليٌ لملاقاة أصحابه وإخبارهم عن أحلام وعنادها المفرط وإيجاد حل له في هذا الموضوع ،وصل إليهم في نادي وقد وجدهم يلعبون ويشربون شرابهم كالمعتاد ، وهو تبدو علامات الغضب عليه فلم يروأ صديقهم في مثل هذه الحالة من قبل ....

الدهشة تعلو وجوههم فقالوا له: ما بك يا عليٌ فأنت عريس جديد فلماذا أنت كئيب هكذا ؟

عليٌ : عريس ؟ أتظنون أنني عريس ، لا أنا تعيس فقط جنيت على نفسي ، كل الفتيات تردن الالتصاق بي أو الحديث معي و منهن من تحلم بي في منامها ورؤياها ، ويفقدن

صوابهن إن لمستهن حتى إن لم أكن قاصداولكن فتاة تلك القرية لم تتقبلني بل صدتني عنها وقالت انه يجب علينا أن نعرف بعضنا أولا وليس ذلك فقط بل قالت إنني لا أحترم زواجنا .

الأصحاب وهم يضحكون : أحقا هي قالت ذلك ؟ وكيف يمكنها انتقاء الكلمات والحديث بثقة و أمامك أنت شخصيا ، دعك منها الآن فأنت معنا هنا ونحن الآن بالنادي ويوجد الكثير من الفتيات فأختر واحدة كما كنت تفعل و أسهر معها للصبح وانسى فتاة القرية تلك .

عليٌ : لا فأنتم إن رأيتموها لن تنظروا لفتاة غيرها

، إنها جميلة بكل تفاصيلها ولكنها ادهشتني بصدها لي وكيف لم تصد من فعلوا بها ذلك ؟

الأصحاب باستغراب شديد : ماذا تقصد بكلامك هذا؟

لم يصدق عليٌ ما فعلته أحلام عند محاولته لاحتضانها وردها على كلامه واعتبرها عدوة له فذهب إلى النادي الليلي ليرى أصحابه فقص عليهم ما حدث لأحلام من مواقف وكيف تم اغتصابها ولكن لا يهمهم الأمر اكثر من رفضها له واعتبروها اهانة لصاحبهم فقالوا له :

لا تسمح لها بأن تغلبك ونحن يمكننا المساعدة خذنا معك للمنزل وسنريها ما فعلوه لها لم يكن كافيا ولكن نحن جميعا سنكفيها و عندها فقط ستسجد لك

عليٌ لم يتردد فكلهم سيئون فاخذوا ما يكفي من شراب وثملوا كثيرا وبعدها اتجهوا لأحلام المظلومة اليائسة من أحلامها وطموحاتها التي تحطمت أمام عينيها .ولم تسلم من

مجتمعها نفسه فقد خطط هذا المجتمع على هدم براءتها و تلطيخ سمعتها بكل الطرق الممكنة لم تجد من يقف معها فمن كانوا كذلك قد رحلوا عنها بعيدا .

سمعت أحلام أصوات كثيرة مع صوت زوجها المزيف وهم يغنون بلغة غريبة لم تعرفها أو تسمع بها من قبل ، فتجهمت من تلك الأصوات وراحت تفكر ما الذي يخططون له ومن يكون هؤلاء و تبدو في أصواتهم الثمالة ، فلم تقو أحلام على تحمل ذلك وبدأت بالنحيب واعتراها الخوف فقد تذكرت ذلك اليوم وما فعلوه بها في ظلمة الليل الحالك ، وفتح الباب فجأة ودخل إليها اثنان وهما يتمايلان من شدة الشراب واقتربا منها والتفا حولها و ينظران إليها فمرة يفتحان عيونهما وأخرى يغلقانها ، فدفعاها على السرير وأحلام تصرخ وتطلب من عليٍّ أن يساعدها وقد كان بلا جدوى ، وترددت المشاهد على أحلام ومع ذلك اليأس لم تسلم نفسها بسهولة فتناولت المزهرية وضربت أحدهما على رأسه فوقع مغشيا عليه ودفعت الآخر بعيدا عنها ولاذت بالفرار من تلك الغرفة ونزلت مرورا بالصالة فوجدتهم شبه نائمين من الثمالة وفتحت باب المنزل وهربت في شوارع تلك المدينة الغريبة ولم تجد معينا لتستعين به إلا خدمة الهاتف فتذكرت رقم زينب فاتصلت بها .

زينب : مرحبا من المتحدث.

أحلام وصوتها مبحوح : أناااا أحلام يا زينب أين والدي ؟ أنا الآن هاربة من عليٍّ فقد حاول أن يعتدي علي هو وأصحابه و ها أنا الآن أجوب في شوارع ولا أعلم إلى أين أذهب و فجأة انقطع الخط لأن أحلام لا تملك نقودا و قد رأت علي وأصحابه قادمين نحوها فتركت الهاتف و همت بالهروب.

زينب وهي تصرخ : أحلام أنا معك ألو ...ألو..فسمعت أصوات صفير الهاتف .

عبدالله : من هناك ؟ يا زينب ما بك فقد سمعت صوت أحد ينادي ابنتي أهي من كانت تتحدث معك أخبريني كيف حالها ؟

زينب : ما حدث لأحلام هنا يتكرر حدوثه معها الآن يا عمي عبدالله .... عمي عبدالله ..عمي ... عم.. لا الحقوني يا ناس ، ما بك يا عمي أمي أبي تعاليا إلى هنا.

وقع والد أحلام من شدة الصدمة ولم يتحمل قلبه ما سمع عن ابنته ، وزينب تصرخ بقوة وتطلب المساعدة من أهل دارها ليروا ما حل بوالد أحلام،

مات الأب عند سماعه لما تعانيه ابنته فقد كان هو من أمرها وأصر عليها بالزواج ، والبنت تجري حافية القدمين بين الشوارع ولا تدري إلى أين تذهب ومن تسأل لتقديم المساعدة ،والذئاب تعلو أصواتهم بالنباح ، توقفي ...توقفي... لم تجد سبيلا أمامها لأنها إن وقفت لن تسلم مِن مَن هم خلفها فلم يكن أمامها سوى أن تستسلم لصفعات الحياة التي لم تكتف للحظة بصفعها أرضا كلما حاولت النهوض والمضي قدما فقررت أحلام في لحظة ضعف ويأس بالهروب بعيدا وترك حياة النفاق خلفها ، فوقفت وسط طريق سريع به الكثير من السيارات و ظهرت سيارة فجأة لم يقدر صاحبها على السيطرة واصطدم بأحلام بقوة حلق جسدها بعيدا و هبط على الأرض بقوة وسالت دماؤها على الطريق .

أتى صاحب السيارة مسرعا و أخذها للمشفى بسرعة البرق وأدخلت أحلام لغرفة العمليات وبعدها للانعاش وبعد يومين لغرفة العناية المركزة .

الطبيب وهو حزين جدا لما حدث لها فقال :

إن يمكنك التحدث فقولي لي لأنني اريد أن أخبرك شيئا.

أحلام وبصوت متعب جدا : نعم يمكنك أن تتحدث.

الطبيب : لماذا توقفت في وسط طريق سريع ؟ أتعرفين إنها المرة الأولى أرى فيها شخصا بعيني يقف أمام الموت هكذا

، إنها جريمة يا فتاة ولكن لماذا ؟ فالشرطة واقفة خارجا لتجري تحقيقا معك لأنه يعتبر انتحار في بلدتي هذه ولكنِ أعلم بأنك لم تعني ذلك فأخبرني بكل شيء وسوف أساعدك .

أحلام : وكيف تتحدث لغتي بطلاقة ؟

الطبيب : أنا سودانيُ الأصل وأمي أجنبية.

كانت السيارة للطبيب وهو بزمنه ذاك عائدٌ إلى منزله ولكن قدره أن يصطدم حظه بأحلام ، فقصت له أحلام ما عانته منذ قدومها لهذا البلد ولم تنعم بالأمان والسلام أبدا وأخبرته عن اسم زوجها المزيف و استحلفته أن يأخذ حقها.

فأخبر الطبيب الشرطة بما أخبرته أحلام عن زوجها وأفعاله وأصحابه أيضا وتم القبض عليهم جميعا و وضعوا بالسجن لمدة طويلة .

وبعد يومين وفي المشفى والطبيب يراقب حالة المرضى رن جرس من غرفة أحلام

فأسرع الأطباء لرؤية ما يحدث لها ووجدوا نبضات القلب تكاد تختفي وعيني أحلام مغلقتين ، فبذلوا جهدهم لعدم فقدانها وقاموا بعمل الصدمات الكهربائية لاعادة استقرار النبض كما كان ولكن احلام زهرة الحديقة التي أنارت البستان بنورها وجمالها الخلاب كادت أن تذبلُ.

شكرا أيها الطبيب والأطباء لمداواتي من دائي ولكن قوة دائي أقوى من دوائك ، ففقريتي تعاني وما زالت تعاني ، ووالدي أباني ولكني أعلم أن ليس ذلك من الوجدانِ ، فتيات تعاني من جنود وذئاب براري ، وسلطة بالفقير لا تبالي ، قرار ديكتاتوريٌ يدمر المراعي بالاستثمارِ ، و فتاة تُزَوج بمن لا ترضى لأنها عار أن اغتصبت ونادت منادي لا يسمع صوتها وقت القضاء ، حلم بالأمان والسلام لن يكون في حياة الإنسان ، فالكل لنفسه راض و للآخر لا يواسي ، شكرا لأنك بي مبالٍ وللآخرين تداوي ، فراحتي مع الكريم تنادي وجنتي بالغيوم مباني ، و وطني حاله بالقلب مبال في أمان واستقرار و الرب يعلمُ ما بقلبي من أماني.

مع تحيات... حسام ..منى..إسراء